

الحقوق والحرمات في خطبة حجة الوداع

(1)

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فأول ما تطالعنا به خطبة حجة الوداع هو حرمة الدماء والأموال والأعراض، حيث يقول نبينا (صلي الله عليه وسلم): "إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا - يوم عرفه -، في شهرِكُمْ هَذَا - شهر ذي الحجة -، في بلدِكُمْ هَذَا - مكة المكرمة"، ومن المعلوم أن الشريعة قد حفظت دم وعرض ومال كل إنسان، بغض النظر عن دينه، أو جنسه، أو لونه، حيث يقول (عز وجل): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ .

كما حرم الإسلام الاعتداء على الأنفس فقد حرم كذلك الاعتداء على الأموال بأي صورة من الصور، حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ .

(2)

وكذلك حرم الإسلام الاعتداء على الأعراض بأي وجه من الوجوه، حيث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، ويقول (صلي الله عليه وسلم): "... وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه".

وقد عنيت خطبة حجة الوداع ببيان الحقوق، ومن أهم هذه الحقوق التي أكدت عليها تنبيهاً على أهميتها، وتنويهاً بشأنها: حق المساواة بين الناس جميعاً، حيث يقول (صلي الله عليه وسلم): "يا أيها الناس إن ربكم واحدٌ ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ولا لأحمرَ على أسودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى".

فلا فضل للون، أو جنس، ولا ميزة لوطن أو لغة، إنما هو مقياس واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس جميعاً، وهو قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ.

ومن الحقوق التي أكد عليها نبينا (صلي الله عليه وسلم) في خطبته: حق المرأة، فقد أوصي (صلي الله عليه وسلم): "فإن لكم على نساءكم حقاً، ولنساءكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نساءكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن"، فقد جاء الإسلام ليقضي علي الظلم الذي كان يقع علي المرأة في الجاهلية، وليحافظ علي كرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية، حيث يقول (صلي الله عليه وسلم): "إنما النساء شقائق الرجال"، ويقول (صلي الله عليه وسلم): "استوصوا بالنساء خيراً".

(3)

ومن أهم الحقوق التي تناولتها خطبة حجة الوداع: حق الميراث، فقد أكد نبينا (صلي الله عليه وسلم) علي ضرورة الالتزام بمنهج الله، وإعطاء كل وارث حقه، وأنه لا وصية لوارث، وأن الوصية لا تجوز فيما زاد علي الثلث، حيث يقول نبينا (صلي الله عليه وسلم): " إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، فَلَا تَجُوزُ وَصِيَّةٌ لَوَارِثٍ".

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلي الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ولا يفوتنا في هذه الأيام المباركة أن نذكر بسنة نبينا (صلي الله عليه وسلم) في صيام يوم عرفه، حيث يقول (صلي الله عليه وسلم): "صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ"، كما لا يفوتنا أن ننبه أن من سننه (صلي الله عليه وسلم) الأضحية علي القادر المستطيع، حيث يقول (صلي الله عليه وسلم): في الأضحية: "... وَإِنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأُظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطَيَّبُوا بِهَا نَفْسًا".

اللهم ارزقنا فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين